

تلال المدافن الدلمونية بمملكة البحرين

د. عبدالعزيز علي صويلح*

الملخص:

دشنت تلال المدافن بدايات الاهتمام بآثار مملكة البحرين، منذ سنة 1879، وما يزال هذا الاهتمام مستمرًا حتى الوقت الحاضر، إذ شكّلت من خلال أشكالها ومجموعاتها وأحجامها حافزًا لمعرفة خباياها، كما أن انتشارها الواسع جعلها عرضة للتدمير بسبب تعارض امتدادها مع التوسع العمراني الذي شمل مختلف مناطق المملكة.

ولقد قدر عدد تلال المدافن الدلمونية المنتشرة على أرض جزيرة البحرين وحدها بحوالي 85,000 تلاً. وأوضح ما تم تنقيبه ودراسته منها بأنه بالرغم من تشابه أشكالها من الخارج، وجود اختلافات في طريقة إنشائها وعمارته على الرغم من تزامن فترة إنشائها، وهذا مؤشر على تعدد المعتقدات الدينية لدى سكان مملكة البحرين من الدلمونيين والتي انعكست على طرق إنشاء المدافن وطقوس الدفن. وسوف استعرض في هذه الورقة البحثية جوانب عدة حول ما يتعلق بتلال المدافن وأهميتها في كشف النقاب حول جوانب عدة من حضارة دلمون.

الكلمات الدالة:

تلال المدافن – حضارة دلمون – المعتقدات الدينية – جزيرة البحرين.

من أهم القضايا التي شغلت فكر الإنسان قضية الموت، وذلك منذ بداية قدرته على إدراك ما حوله ومعرفة كينونته وصيرورته نتيجة نموه العقلي والفكري بدءاً من العصور الحجرية ومروراً بالعصور التاريخية ووصولاً إلى الوقت الحاضر^(١). وقد انعكس ذلك على مختلف الأديان سواء كانت سماوية أو وضعية، وارتبطت ذلك في الوقت نفسه باعتقاد الإنسان بوجود عالم آخر سوف يتوجه إليه بعد الموت، أي أن الموت حسب ذلك الاعتقاد يمثل بوابة ذلك العالم بأكثر من المعنى الحرفي، طبقاً لمعظم الديانات المبكرة^(٢). كما أن هذا العالم المجهول والغامض وكيفية الوصول إليه أوجد لدى الإنسان مشكلة تتعلق بكيفية التصرف في جثة الميت لضمان وصولها إلى ذلك العالم، خاصة إذ كان المتوفى أحد أفراد أسرته أو أقربائه الذين يكن لهم الحب أو كان ملكاً أو زعيماً يكن له المجتمع التقدير في الحياة. والأنثروبولوجيون يرون أن الشعور الغالب على الأحياء عند مواجهة جثة الميت، هو الرعب والخوف، وهذا الموقف شكل النواة المركزية لجميع المعتقدات والممارسات الدينية^(٣).

ولهذا نرى بأن الإنسان ومنذ العصور المبكرة لخلقه ووجوده في هذه الحياة استوقفته قضية التصرف في موته، حيث يستعرض لنا القرآن الكريم تفصيلاً لقصة أبنی آدم "عليه السلام" قابيل وهابيل في قوله تعالى: **وَإِثْمُ قَابِلٍ وَمِنْ أَهْلِهِمْ نَبَأٌ إِثْمِي أَنَّمَا يُنْقَبُ لَهُ مِن آدَمَ بِأَحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيْ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١)**^(٤)، ومن خلال تلك القصة نتلمس سعي الإنسان لإيجاد المكان المناسب لدفن موته والمحافظة عليهم.

ويفيد الدليل الأثري، من فترة لاحقة، تؤرخ إلى العصر الحجري القديم الأوسط (نحو ١٢٠ ألف - ٤٠ ألف سنة من وقتنا الحالي) العثور على مدافن تحوي هيكل عظمية بشرية، فقد جاء دليل من كهف شانيدار الواقع في شمال العراق على يد رالف سوليكي أستاذ الأنثروبولوجيا في جامعة كولومبيا، في الولايات المتحدة الأمريكية، والذي عثر فيه على دلائل دفن تعود لإنسان النياندرتال، وقد وضعت إلى

(١) حنون، نائل: عقائد ما بعد الموت في حضارات بلاد الرافدين القديمة، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٦، ص ٢٧ - ٤٥.

(٢) بر نسل، وآخرون: السحر والعلم والدين عند الشعوب البدائية، ترجمة، فيليب عطية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٤٩.

(٣) بر نسل، وآخرون: مرجع سابق، ص ٥٠ - ٥٦.

(٤) سورة المائدة، من الآية رقم ٢٧ إلى الآية ٣١.

جانبا قرابين خلال أعماله التقييية من عام ١٩٥١ - ١٩٦٠م^(٥). وعثر علماء الأثرولوجيا في أنحاء أوروبا الغربية على مداخل استخدمها إنسان العصر الحجري القديم لدفن موته، وقد أقام حولها أحجارًا كبيرة ووضع لها سقفًا من حجارة ضخمة^(٦)، كذلك نرى أن الإنسان منذ بدايات العصر الحجري الحديث، بدأ في محاولات سعى من خلالها إلى التصرف في موته بدفنهم في البيوت التي يسكنها^(٧).

كل تلك المحاولات المختلفة في وسائل المحافظة على جنث الأموات، وإن كانت بسيطة في مضمونها الفكري، فإن الإنسان كان يقصد بها احتضان الميت والتقرب إليه والمحافظة على رفته، حتى يضمن له الوصول إلى العالم الآخر والتمتع بنعيمه، ولذلك وحسب اعتقادهم عملوا على تزويد قبره بما لا يستغني عنه مما كان يستخدمه في حياته من حاجات ضرورية وممتلكات شخصية، مثل: الصحون والأواني والحلي والأختام وتمائيل الآلهة التي عبدها وأدوات الحرفة التي كان يمارسها وآلات الحرب أو اللعب، وكانت توضع في متناول الميت. وإذا كان صاحب القبر ملكًا يدفن معه الأتباع والخدم، كي يظل الملك ملكًا بعد موته، وهذا ما أوضحته مقابر الملوك السومريين في مدينة أور وكيش (٢٥٠٠ ق.م). وزاد الفراعنة على ذلك بأن قاموا بتحنيط الجثة، وزودوا القبور بتعاويذ وكتاب يسمى "كتاب الموتى" يحتوي على مجموعة من الأدعية التي تعين الميت على حساب القبر وتشفع له عند الآلهة، وعينوا الإله أوزيريس إله للموتى، كما احتفلوا بدفن الميت، إذ اعتقدوا أن سعادة الميت في المستقبل تتوقف على هذا الاحتفال والطقوس المرتبطة به^(٨)، كل ذلك تحسبًا لحياة ظنوها مشابهة للحياة السابقة، سوف ينتقل إليها الأموات.

ومن هذا المنطلق فإن الفكرة الأساسية في إنشاء وتصميم تلال المدافن على اختلاف أشكالها في مملكة البحرين، لا تمثل فقط تنوع أساليب وطرق إنشائها وتطور تلك الأساليب والطرق من شكل معماري بسيط إلى معقد، بل تعكس في مجمل

(٥) جواد، عبد الجليل، وآخرون: "النياندرتاليون وتراثهم الثقافي"، مجلة سومر، المجلد ٢٧، ج ١، مديرية الآثار العامة، بغداد، ١٩٧١، ص ص ٢٥ - ٣٤. وأيضًا؛ Trinkaus. Erik, "An Inventory Of The Neanderthal Remains From Shanidar Cave Northern Iraq" Sumer, Vol. xxx111, no.1, 1977, pp.9-41.

(٦) الهاشمي، طه: تاريخ الأديان وفلسفتها، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٣، ص ص ٩ - ١٠. (٧) إبراهيم، معاوية، وآخرون: "المدفن في الشرق القديم، سوريا، فلسطين، بلاد والخليج العربي"، دراسات عن المسكن والمدفن في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٧م، ص ص ١٠٩ - ١٨٨.

(٨) بارندر، جفري: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة، إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٧٣، ١٩٩٣، ص ص ٥٦ - ٦٠؛ بوتير، جان: بلاد الرافدين الكتابة - العقل - الآلهة، ترجمة، الأب البيير ابونا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠، ص ص ٣٤٥ - ٣٥٦؛ صالح، عبدالعزيز: مرجع سابق، ص ص ٣١٣ - ٣٢٤؛ مظهر، سليمان: قصة الديانات، دار الوطن العربي، (د. ت.) ص ص ١٧ - ٢١ و ص ص ٣٩ - ٤٠.

فكرتها الدافع الأساس لبناء مثل تلك المنشآت والمتمثل في تطور الفكر لدى أصحابها من الدلمونيين في نظرتهم للموت وما بعده. وتظهر في الوقت نفسه ما كانوا يكونونه من احترام وتقدير للميت، بحفظ جسده لحياة أخرى لا يعرفون شيئاً عن كيفية وطبيعتها، إلا أنهم اعتقدوا بوجودها.

ويشير هذا الاهتمام بالمحافظة على جثة الميت من جانب آخر إلى وجود ترابط وتكافل بين أفراد المجتمع الدلموني فرض عليهم القيام بهذا العمل، ليس لأن بلادهم جنة الخلد كما اعتقد السومريون ومن جاء بعدهم من شعوب حضارة بلاد الرافدين، وليس لأن بلادهم دلمون المكان الطاهر المقدس الذي اختاره مجمع الآلهة السومرية ليكون موطناً لها، وليس لأنها الموطن الذي تكرمت به تلك الآلهة على البشر وكل المخلوقات التي رافقت الرجل الصالح الذي نجا من الطوفان السومري وهو (أوتونابشتم)^(٩)، وليس لأن قيعان بحر بلادهم دلمون تحتوي على نبتة الخلود التي سعى جاهداً الحصول عليها البطاللسومري (جلجامش)؛ ولكنهم كانوا من خلال ما بذلوه من عناية بموتاهم يؤكدون وجود حياة أخرى بعد الموت^(١٠).

تعريف تلال المدافن الدلمونية بمملكة البحرين:

دشنت تلال المدافن بدايات الاهتمام بآثار مملكة البحرين، منذ سنة 1879^(١١)، وما يزال هذا الاهتمام مستمرًا حتى الوقت الحاضر، إذ شكّلت من خلال أشكالها ومجموعاتها وأحجامها حافزاً للرحالة والهواة والآثاريين لمعرفة خباياها وكشف أسرارها والتعرف على أصحابها، ومن جانب آخر نيشها بهدف معرفة ما تحويه من كنوز وجواهر للمتاجرة بها في متاحف أوروبا، كما أن انتشارها الواسع جعلها عرضة للتدمير بسبب تعارض امتدادها مع التوسع العمراني الذي شمل مختلف مناطق المملكة، ويقدر الباحثين الآثاريين عدد تلال المدفن الدلمونية المنتشرة على

(٩) نعمة، حسن: ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة، موسوعة الأديان السماوية والوضعية (١)، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٤، ص. ٢٦.

(١٠) النوري، خالد عبد الملك، وآخرون: "أسطورة دلمون نموذج للأسطورة السومرية" دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، ج ١، مداولات اللقاء العلمي لجمعية التاريخ والآثار، دبي، ١٩٩٩، ص ص. ١ - ٢٩؛ بوتيرو، جان: مرجع سابق، ص ص. ٢٨٨ - ٢٩٠؛ موسى، محمد العزب: مرجع سابق، ص ص. ٤٢ - ٥٥؛ فريحة، أنيس: ملاحم وأساطير من الأدب السامي، ط ٢، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧، ص ص. ٩ - ٨٦؛ بيبي، جيوفري: البحث عن دلمون، سلسلة الجزيرة العربية، ترجمة أحمد عبيدلي، دلمون للنشر، نيقوسيا، ١٩٨٥، ص ص. ١٢٦ - ١٣٤ و ص ص. ٢١٩ - ٢٢٠؛ كورنول، بيتر بروس: مرجع سابق، ص ص. ٣٣ - ٦٧.

(١١) تمثل تنقيبات الكابتن أ. ل. ديوراند التي نفذها في عام ١٨٧٩ أولى المساهمات التي كشفت النقاب عن أهمية تنقيب تلال المدافن لمعرفة الكثير عن حضارة دلمون. ولمعرفة المزيد حول تلك الأعمال أنظر: صويلح، عبد العزيز علي: "مملكة البحرين في الألف الثالث ق. م - تلال مدافن مدينة حمد، المطبعة الحكومية، مملكة البحرين، ٢٠٠٣م، ص ص. ٣٠ - ٣٥.

أرض جزيرة البحرين وحدها (كبرى جزر مملكة البحرين) بحوالي 85,000 تلاً، ويغطي انتشارها مساحة من الجزيرة بلغت ١٢٩ كيلو متر مربع^(١٢). (لوحة ١).

أشكال تلال المدافن الدلمونية:

وأوضح ما تم تنقيبه ودراسته من تلال المدفن الدلمونية بأنه بالرغم من تشابه أشكالها من الخارج، وجود اختلافات في طريقة إنشائها وعمارتها، وهذه الاختلافات مؤشر واضح على تعدد المعتقدات الدينية لدى الدلمونيين والتي انعكست على طرق إنشاء المدافن وطقوس الدفن.

ولقد وعلى ضوء تلك الاختلافات أمكن وضع تصنيف لأشكال تلال المدافن الدلمونية بمملكة البحرين والفترات الزمنية التي تعود إليها، اعتماداً على عدد من الاختلافات تمثلت في المظهر الخارجي للتل وكيفية إنشائه بمختلف عناصره المعمارية من مدافن وجدران دائرية وتركيبية مكونات الدفن المستخدمة في تغطية تلك العناصر المعمارية وتشكيل التل، إضافة إلى اختلاف مكونات التقدّمات الجنائزية التي وضعت مع الأموات، والتي كشفت دراستها بأن تلال المدافن أنشئت في فترات زمنية مختلفة سوف نذكرها ضمن سياق عرض البحث، وعلى الرغم من وجود تلك الاختلافات إلا أن وضعية الدفن كانت متشابهة وهي وضعية القرفصاء المشابهة لوضعية الجنين في بطن الأم. وبلغ عدد الأشكال التي تم التعرف عليها ثمانية أشكال، وهي على النحو التالي:

الشكل الأول: تلال المدافن الحجرية

تنتشر تلال المدافن الحجرية بصورة متفرقة فوق الأراضي المستوية وسفوح الأودية، ويفصل بين مجموعاتها التي يتراوح عددها ما بين ٢ - ٣ تلال أودية طبيعية جافة استغلت المساحات الفارغة بينها لإنشاء تلال مدافن الأشكال الأخرى والتي تعود إلى نهاية الألف الثالث وبداية الثاني قبل الميلاد.

أنشأت تلال المدافن الحجرية على أرضية الموقع الطبيعية، وبعضها أنشأ على هضاب طبيعية جيرية منخفضة الارتفاع، ويتميز السطح الخارجي لهذا الشكل من التلال بالخشونة بسبب نتوء الحجارة المستخدمة في إنشائها، ويشبه سطح أرضية الموقع الطبيعية وكأنه امتداد لها، وتراوح ارتفاع تلال هذا الشكل ما بين ٤٠ - ١٠٠ سم، وقطرها ما بين ٣٠٠ - ١١٠٠ سم، وتلال هذا الشكل الكبيرة الحجم قرصية الشكل مسطحة من الأعلى، أما الصغيرة منها فهي شبه مقببة (لوحة ٢).

(12) Prideaux F. B., " The Sepulchral Tumuli of Bahrain ", Archaeological Survey of India Annual Report, 1908 – 1909, Calcutta, Superintendent Government Printing, India, 1912, p. 65.

ولقد استخدمت حجارة كلسية طبيعية غير مهندمة مختلفة الحجم لتغطية ودعم وإسناد العناصر المعمارية التي احتوتها تلال المدافن الحجرية، وأيضاً لملاً الفراغ المحصور بين مدفن التل والجدار الدائري المحيط به، وبعض الحجارة المستخدمة في تركيبية الدفن يتقارب حجمها مع حجم الحجارة المستخدمة في إنشاء الجدار الدائري المحيط بحجرة مدفن التل، وتشكل معه وحدة معمارية متداخلة، بحيث أصبح الشكل الخارجي لهذه التلال عبارة عن رصة أو كومة من الحجارة (لوحة ٣). ولقد تم التعرف على تلال مدافن حجرية أسرية، تحوي مدفن رئيسي لشخص بالغ ربما يعود لأب أو الأم، ويتصل بالجدار الدائري المحيط به مجموعة مدافن جانبية لأطفال أعمارهم أقل من ثلاث سنوات (لوحة ٤).

وأوضحت الدراسة المقطعية لتلال المدافن الحجرية إلى أن الخطوات التي اتخذت في بنائها كانت على النحو التالي:

١- تسوية أرضية الموقع الطبيعية المخصصة لإنشاء التل عليها بإزالة الحجارة المتحركة من فوقها، وربما كانت ترش بعد ذلك بالماء لتثبيت التربة قبل إنشاء عناصر التل المعمارية عليها.

٢- بعد إتمام الخطوة الأولى يتم تحديد ورسم موقع حجرة المدفن في وسط أرضية التل، ويتم إنشاء جدرانها بالكامل إلى مستوى الارتفاع المطلوب لها بصورة تدريجية ومتزامنة مع الخطوة الثالثة.

٣- تتزامن هذه الخطوة مع مراحل بناء جدران حجرة المدفن، وهي القيام برص ركام من الحجارة الكلسية المختلفة الحجم حول جدران حجرة المدفن من الخارج وذلك لدعم وإسناد جدران المدفن خوفاً من انهيارها، ويتناسب ارتفاع رصت الركام عند نهاية انحدارها مع ارتفاع الجدار الدائري المحيط بالمدفن.

٤- بعد ذلك ترص حجارة الجدار الدائري حول انحدار ردم الحجارة الموضوع حول المدفن، بحيث تتداخل حجارة الجدار الدائري مع حجارة الردم، وفي بعض التلال وضعت خلف الجدار الدائري حجارة لدعمه وإسناده.

٥- بعد إتمام الخطوة الرابعة، يغطي الجدار الدائري من الخارج بخلطة من مكونات الدفن، تتكون من تربة طينية مخلوطة بحجارة كلسية صغيرة الحجم، لحفظه من الانهيار، وتشكل تلك الخلطة عند نهاية انحدارها الإطار الخارجي لحدود التل.

٦- بعد وضع جثة الميت في حجرة المدفن، يتم القيام بالخطوة السادسة، وهي تغطية حجرة المدفن وذلك بالاستمرار في زيادة ارتفاع جدرانها، بحيث يتميل حجارة صفوف الجدران تدريجياً وبصورة منتظمة إلى الداخل كلما ارتفعت، بحيث تتغلق حجرة المدفن بطريقة التداخل بين حجارة جدرانها لتصبح في النهاية بعد الإغلاق على شكل قبو.

٧- وبعد إتمام تغطية المدفن يتم وضع رصة من مكونات الدفن فوق سقف المدافن (القبو) تتكون من: حجارة كلسية يتناسب حجمها وثقلها مع قوة تحمل سقف المدافن، وتوزع رصة مكونات الدفن فوق السطح الخارجي للتل بحيث تغطي جميع عناصر التل المعمارية، وتصبح معها وحدة معمارية متداخلة ومتراصة.

الشكل الثاني: تلال المدافن الترابية الحجرية

ينتشر هذا الشكل من تلال المدافن بصورة متفرقة بين تلال المدافن الحجرية، ولقد أنشئت على أرضية الموقع الطبيعية مباشرة، ويفصل بينها أودية طبيعية جافة، ومع ذلك لوحظ وجود بعض تلال هذا الشكل قريبة من بعضها.

ولقد أنشأت تلال المدافن الترابية الحجرية على أرضية الموقع الطبيعية، ويتميز سطحها الخارجي بالخشونة بسبب استخدام شظايا وشطف حادة من كسر الحجارة الكلسية ضمن خلطة تركيبة الدفن المستخدمة في تغطية عناصرها المعمارية، وتلال هذا الشكل قرصية مسطحة من الأعلى، وأحجامها الصغيرة مقببة الشكل تقريباً، وتراوح ارتفاعها عن مستوى سطح الأرض المنشأة عليها ما بين ٤ - ١٠٠ سم، وقطرها ما بين ٣٠٠ - ١١٠٠ سم (لوحة ٥).

ولقد استخدمت خلطتين مختلفتين من مكونات تركيبة الدفن لتغطية عناصر تلال المدافن الترابية الحجرية المعمارية، وهي على النحو التالي:

١- الخلطة الأولى تتكون من حجارة كلسية طبيعية مختلفة الحجم، مخلوطة بترربة طينية بنية بنسب تتناسب وحجم الحجارة المستخدمة ضمن الخلطة وكميتها في التل، حيث ساعدت تلك النسبة المحددة والمتكافئة من التربة الرملية الطينية على تماسك وصلابة تلك الخلطة، ولقد رصت هذه الخلطة بشكل جيد حول حجرات المدافن، وساهم الجدار الدائري في حفظها من الانهيار، ولدعم الجدار الدائريومساعدته على تحمل ضغط خلطة تركيبة الدفن وضعت حوله من الخارج حجارة لإسناده.

٢- الخلطة الثانية تتكون من حجارة طبيعية صغيرة الحجم، وشظايا وشطف رقيقة حادة الحواف من كسر الحجارة الكلسية وترربة طينية بنية، وضعت حول حجرات المدافن فوقها، واستخدمت لدعم وإسناد الجدران الدائرية من الداخل والخارج ولتغطيتها، وتشكل هذه الخلطة من مكونات الدفن عند نهاية انحدارها خارج الجدار الدائري الحدود الخارجية للتل.

وساهمت الفترة الزمنية من عمر التلال وبتأثير العوامل الطبيعية وبالتحديد الأمطار في شدة صلابة وتماسك هذه الخلطة من مكونات الدفن، مما جعل عملية إزالتها صعبة جداً خلال أعمال التنقيب، وربما كانت تخلط مكوناتها بمقادير ونسب مدروسة ومحددة قياسياً تضمن تماسكها وصلابتها بعد أنتعج بالماء لتصبح على شكل مونه ومن ثم تستخدم. وربما كانت تجلب شظايا وشطف الحجارة التي حوتها

دراسات في آثار الوطن العربي ١٩

مكونات الخلطتين المشار إليهما من أماكن قلع الحجارة، أما التربة الطينية فربما كان يؤتى بها من ترسبات مجاري مياه الأمطار المنتشرة حول مجاميع حقول تلال الموقع.

وكشفت الدراسة المقطعية لتلال المدافن الترابية الحجرية إلى أن الخطوات التي اتبعت في بنائها تتشابه مع مراحل بناء التلال الحجرية، إلا أن هناك اختلافين بينهما يتمثلان في التالي:

١- استخدام خلطة الدفن الثانية والمشار إلى مكونات تركيبها، لتغطية العناصر المعمارية في أشكال تلال المدافن الترابية الحجرية، بخلاف تلال المدافن الحجرية والتي استخدمت الحجارة الكلسية الطبيعية المختلفة الحجم فقط لتغطية عناصرها المعمارية.

٢- مكونات الدفن المستخدمة في تلال المدافن الترابية الحجرية تغطي الجدار الدائري بشكل كامل، بخلاف تلال المدافن الحجرية حيث يترك الجدار الدائري مكشوفاً، مما يعني اختفاء معالم استدارة الجدار الدائري من الخارج في تلال المدافن الترابية الحجرية، وصعوبة تفكيك وإزالة مكونات تلك الخلطة من الدفن عند التفكير في إضافة مدافن جانبية تتصل به؛ ولذلك أدت صعوبة عملية البحث تلك عن موضع استدارة الجدار الدائري عند الرغبة في إضافة مدافن جانبية لأطفال تتصل به، إلى إزالة ذلك الجانب من الجدار الدائري بالكامل خلال محاولة تحديد استدارته، ولذلك كان يتم بعد ذلك إعادة إنشاء هذا الجزء من الجدار الدائري بعد الإزالة بارتفاع مختلف عن بقية جوانبه، وبصورة تدريجية في الارتفاع بدءاً من طرفي الجزء المزال من الجدار، باستخدام حجارة مختلفة في حجمها عن الحجارة المستخدمة في جوانبه الأخرى.

بنيت المدافن في تلال المدافن الحجرية وتلال المدافن الترابية الحجرية، بحجارة كلسية طبيعية غير مهندمة كبيرة ومتوسطة الحجم، في وسط أرضية الموقع الطبيعية المخصصة لإنشاء التل عليها مباشرة من دون وضع أي مكونات عازلة بينها، وتراوح عدد صفوف حجارة جدرانها ما بين ٣ - ٥ صفوف، ويراعى في صفوف البناء أن تكون حجارة كل صف بارزة قليلاً إلى الداخل تدريجياً كلما ارتفعت الجدران، بحيث ينغلق المدفن تلقائياً بطريقة التداخل بين حجارة جدرانه، ليصبح بعد إتمام بنائه وإغلاقه بعد وضع جثمان الميت بداخله على شكل قبو (Vault). ويكون المسقط الأفقي للمدفن من الداخل بيضاوي الشكل (Oval)، ويميل في بعض الحالات إلى الشكل الشبه دائري تقريباً، وتراوح طول المدافن ما بين ٨٠ سم - ١١٠ سم وعرضه في المنتصف ما بين ٧٥ سم - ٩٥ سم (لوحة ٦).

ولقد وجدت أسقف غالبية المدافن في تلال المدافن الحجرية وتلال المدافن الترابية الحجرية منهاراً إلى الداخل، ليس بسبب عملية التخريب الناتجة عن عملية السرقة التي تعرضت لها، ولكن نتيجة لأسباب فنية معمارية بحثة تتعلق بطريقة إنشائها والمتمثلة في استخدام حجارة طبيعية لم تسوى واجهاتها قبل استخدامها لتتم عملية الربط بينها من خلال صفوف حجارة الجدران بصورة متقنة، إضافة إلى عدم استخدام أية مونة رابطة لحجارة الجدران. ولذلك أصبحت عملية التماسك والترابط بين الحجارة المستخدمة في صفوف البناء ضعيفة جداً مما أدى إلى انهيارها. وساعد في أحداث الانهيار أيضاً، ثقل طبقة الدفن الموضوعة فوق المدافن لتغطيتها من الأعلى، وضغط طبقة الدفن المحيطة بجدرانها من الخارج. كذلك بدأ تأثير عوامل التعرية واضحاً في عملية انهيار المدافن، وخصوصاً الأمطار التي تغلغت بسهولة بين رصة حجارة الدفن المحيطة بالمدافن، ولقد وجدت ترسبات من التربة الطينية متسربة إلى داخل المدافن جلبتها مياه الأمطار، خلال الفترة الزمنية الطويلة منذ إنشاء هذه التلال وحتى الوقت الحاضر. لعبت هذه العوامل دوراً كبيراً وبنسب متفاوتة في عملية انهيار المدافن، إذ وجدت حجارة صفوف جدرانها مكدسة فوق بقايا محتويات المدافن من التقدّمات الجنائزية وعظام الهياكل.

وفي حالة احتواء المدافن على فتحات جانبية، وجدت الفتحات متصلة بالمدافن بحيث تشكل معها وحدة معمارية لا يمكن فصلها عن بعض. كذلك استخدمت حجارة كلسية مسطحة لتغطية الفتحات الجانبية، حيث وجدت بعض الحجارة المستخدمة سليمة وفي موقعها على الفتحات الجانبية.

ولقد اشتملت مواد التقدّمات الجنائزية التي عثر عليها في مدافن التلال الحجرية والتلال الترابية الحجرية على تمانم من الصدف وأختام صدفية مطورة من التمانم الصدفية (لوحه ٧)، ولم يعثر بها على أختام حجرية دلمونية، بالإضافة إلى ذلك عثر ضمن مواد التقدّمات الجنائزية على جرار فخارية شبيهة بجرار فترة أم النار الماجانية التي تعود إلى النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد (لوحه ٨)، وعلى ضوء هذا التاريخ نعتقد بأن هذين الشكلين من تلال المدافن يعود إلى فترة ما قبل نشوء حضارة دلمون^(١٣) في مملكة البحرين، ويشير من جانب آخر إلى أن مملكة البحرين خضعت خلال فترة ما قبل الألف الثالث وبداية الألف الثالث قبل الميلاد إلى

^(١٣) حضارة دلمون: كشفت أعمال التنقيب التي تمت في مختلف المواقع الأثرية في مملكة البحرين بأن ما تم العثور عليه من مواد أثرية تعود لحضارة دلمون لا يتعدى أقدمها منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، على الرغم من أن الإشارات الكتابية المكتشفة في المدن السومرية وخاصة ما اكتشف منها في مدينة الوركاء في بلاد الرافدين، والتي ذكرت دلمون ونشاطها التجاري في منطقة الخليج العربي فهي تتحدث عن نشاط تجاري مارسه الدلمونية في فترة ما قبل الألف الثالث قبل الميلاد.

هيمنة الثقافة الماجنية وتأثيرها المباشر على الثقافة المحلية في مملكة البحرين وخصوصًا ما يتعلق بطقوس وعادات الدفن.

الشكل الثالث: تلال المدافن الترابية المسطحة

ينتشر هذا الشكل من تلال المدافن الترابية المسطحة بين تلال المدافن الحجرية وتلال المدافن الترابية الحجرية، ولقد أنشئت بعيدًا عن الأراضي المنخفضة والأودية ومنحدراتها. ولقد أنشئت على أرضية الموقع الطبيعية مباشرة، ويمتاز بعضها بضخامة الحجم، على الرغم من وجود تسطیح عند قمتها يقع مباشرة فوق حجرة المدفن، بالإضافة لذلك تبرز على سطح انحدار التلال بعض الحجارة المستخدمة ضمن خلطة مكونات طبقة الدفن المستخدم في تغطية العناصر المعمارية. وأغلب تلال المدافن الترابية المسطحة ذات شكل قرصي مسطح أو مقعر في الوسط تقريبًا، وقاعدة هذا الشكل من تلال المدافن لا تعبر مطلقًا عن مظهر حجمها وارتفاعها الحقيقي، حيث تراوحت أقطار قاعدتها ما بين ٩ إلى أكثر من ١٢ متر، وارتفاعها ما بين ٨٠ سم إلى أكثر من مترين، ولذلك أرى أن هذا الشكل من تلال المدافن كان وقت إنشائه أكثر ارتفاعًا وأضخم مما هو عليه الآن، كما يتميز بسهولة التعرف على مواقع امتداد مدافنها الجانبية قبل تنقيب التل، لبروزها على شكل قباب صغيرة أو مرتفع صغير متصل بحواف التل من الخارج (لوحة ٩).

ولقد استخدمت خلطة مكونة من تربة ذات لون أصفر فاتح أو بني فاتح أو داكن، وحجارة كلسية صغيرة الحجم، ونسبة بسيطة من التربة الجيرية وكتل ملحية بلورية طبيعية، لتغطية ودعم وإسناد العناصر المعمارية التي احتوتها تلال المدافن الترابية المسطحة، وشكلت هذه الخلطة من مكونات الدفن المظهر الخارجي لهذا الشكل من تلال المدافن، والتي ربما قطعت وجمعت من حواف منحدرات الأودية القريبة والمحيطه بالتلال.

وأوضحت الدراسة المقطعية لتلال المدافن الترابية المسطحة، إلى أن خطوات بنائها تتشابه في بعضها مع مراحل إنشاء تلال المدافن الحجرية وذلك حسب الترتيب التالي:

١- تسوية أرضية الموقع الطبيعية المخصصة لإنشاء التل عليها، بإزالة الحجارة الصغيرة المتحركة من فوقها بأسلوب الكنس السطحي لها، وربما كانت ترش بعد ذلك بالماء وتلك لتثبيت مكوناتها قبل إنشاء عناصر التل المعمارية عليها.

٢- بعد إتمام الخطوة الأولى، يتم تحديد موقع حجرة مدفن التل في وسط الأرضية وموقع استدارة الجدار الدائري المحيط بها، والبدء بعد ذلك ببناء جدران حجرة المدفن، ويتزامن هذا العمل مع وضع الصفة الأولى من الجدار الدائري المحيط بها، وكلما ارتفعت جدران حجرة المدفن، تتم في نفس الوقت عملية وضع مكونات الدفن

المعدة لدعما وإسنادها من الخارج إلى أعلى ارتفاع مطلوب لحجرة المدفن، ولوحظت مكونات الدفن الموضوعة حول جدران المدفن في مقاطع هذا الشكل من تلال المدافن منحدره باتجاه أرضية التل، بطريقة تشير إلى أنها كانت تثبت بأسلوب الدك لزيادة صلابتها كي تحفظ جدران حجرة المدفن من الانهيار.

٣- تتم مواصلة إنشاء الجدار الدائري حسب الارتفاع المطلوب، وفي الوقت نفسه وبصورة تدريجية يتم دعم واجهة كل صفة من صفوف الجدار من الداخل والخارج بمكونات الدفن المعدة لذلك، والتي وضحت في مقاطع التلال بصورة منحدره على جانبي الجدار الدائري ويستمر وضع تلك المكونات من الدفن بحيث تغطي الجدار الدائري من الأعلى أيضًا.

٤- بعد إتمام إنشاء حجرة المدفن والجدار الدائري بالكيفية المشار إليها أعلاه، يتم وضع خلطة من مكونات الدفن فوق مكونات طبقة الدفن الموضوعة حول جدران حجرة المدفن، وبشكل معاكس لانحدارها، وتستند هذه الخلطة من مكونات الدفن فوق الجانب المنحدر إلى الداخل من خلطة مكونات الدفن الداعمة لوجه الجدار الدائري من الداخل.

٥- بعد ذلك توضع فوق الجانب المنحدر من خلطة مكونات الدفن المشار إليها في الخطوة السابقة، حجارة الأغطية المعدة لتغطية حجرة المدفن، حيث يكون من السهل تحريكها وقلبها فوق جدران حجرة المدفن بعد إتمام وضع جثة الميت ومختلف مكونات مواد التقدمات داخل حجرة المدفن. وترص حجارة الأغطية بشكل عرضي على جدران حجرة المدفن الطولية، وتوضع حجارة صغيرة بينها لسد الفراغات بينها بسبب عدم انتظام حواف تلك الحجارة، وذلك لإحكام إغلاق حجرة المدفن منعًا من تسرب مكونات الدفن الموضوعة فوق حجارة الأغطية إلى داخل حجرة الدفن.

٦- بعد وضع حجارة الغطاء تتم عملية وضع تكوينه من الدفن فوق غطاء حجرة المدفن التي وضحت في مقاطع التلال المنقبة مسطحة بسبب عملية العبث والسرقة التي تعرضت لها حجرات المدافن ومنهارة إلى داخلها، وتشكل تلك الطبقة المظهر الخارجي لسطح التل من الأعلى.

بنيت المدافن في التلال الترابية المسطحة في وسط الأرضية المخصصة لإنشاء التل عليها (لوحة ١٠)، واستخدمت لبناء جدران المدافن حجارة كلسية طبيعية غير مهندمة كبيرة ومتوسطة الحجم. وبلغ عدد صفوف الجدران ما بين ٥ - ٧ صفوف وضعت بينها حجارة صغيرة لسد الفراغات بينها بسبب عدم انتظام أسطح واجهة الحجارة المستخدمة في البناء، والتي نتج عنها عدم انتظام واجهة الجدران من الداخل. ووجد بأن الجدران الطولية للمدافن تميل إلى الداخل بصورة تدريجية، بحيث تتسع المدافن من الأسفل وتضيق من الأعلى، وتترابط الجدران الأربعة فيما

بينها من خلال الصفوف بما في ذلك الفتحات الجانبية المتصلة بالمدافن، والجدار الشرقي والغربي اللذان يمثلان الجدران العرضية للمدافن بنيت بشكل مقوس، وتتميز المدافن بالضخامة وكبر الحجم، إذ تراوح طولها ما بين ٢٣٣ سم - ٢٨١ سم، وعرضها ما بين ٧٣ سم - ١٠٢ سم، وارتفاعها تراوح ما بين ٩٦ سم - ١١٠ سم. ويتصل بالمدافن فتحات جانبية مبنية على ارتفاع أقل من ارتفاع جدرانها، بحيث يكون مستوى ارتفاع غطائها في مستوى ارتفاع جدران المدافن.

ولقد اشتملت مواد التقدّمات الجنائزية التي عثر عليها في مدافن التلال الترابية المسطحة على جرار فخارية كمثرية الشكل وبأحجام مختلفة يحيط باليدن خطوط متوجة بسيطة التشكيل، بالإضافة إلى أختام دلمونية حجرية (لوحة ١١ و ١٢).

الشكل الرابع: تلال المدافن الترابية المقبية

تشكل تلال المدافن الترابية المقبية الغالبية العظمى من تلال مدافن مملكة البحرين، وتتميز بمظهرها المقرب تقريباً، وتشبه في وضعيتها تلك كومة رمال طبيعية التكوين، فسطحها الخارجي متدرج الانحدار وبشكل انسيابي، ولا تترك أي انطباع عند معاينتها بأي حالة من الحالات بأنها سبق وأن تعرضت للعبث أو النباش والسرقة، وتتناثر على سطحها حجارة كلسية صغيرة، ويتعذر التعرف على مدى إمكانية احتواء هذا النوع من تلال المدافن على مدافن جانبية قبل التنقيب، وتراوح قطر قاعدة تلال المدافن الترابية المقبية ما بين ٦ - ٩ متر، وارتفاعها عن سطح الأرض المحيطة ما بين ١٢٠ - ٢٠٠ سم (لوحة ١٣).

وتتواجد تلال المدافن الترابية المقبية قريبة ومتداخلة مع بعضها البعض، ولا يوجد بين تل وآخر فراغ كبير من الأرض يسمح بإنشاء تل آخر، إلى درجة أن بعضها أنشأ في أماكن قلع الحجارة المستخدمة في بناء تلال أخرى، كما أنشئت بعض التلال في مجاري فروع الأودية ومساراتها المنحدرة، مما أدى إلى استواء حواف مجاري تلك الأودية مع جوانب الأرض التي تمر فيها، وبعضها أنشأ على هضاب طبيعية جيرية منخفضة الارتفاع، والبعض الآخر أنشأ على الطبقة الجيرية الواقعة أسفل أرضية الموقع الطبيعية مباشرة.

ولقد استخدمت خطة مكونة من تربة رملية يميل لونها إلى الأصفر الفاتح مخلوطة بحجارة كلسية طبيعية صغيرة الحجم لتغطية عناصر التل المعمارية، وهذه الخطة هشة غير متماسكة سهلة الحفر والإزالة، وربما تكون مكوناتها قد قطعت وجلبت من حواف منحدرات مجاري الأودية القريبة من أماكن وجود هذا الشكل من التلال، وتشكل تلك التركيبة من الدفن المظهر الخارجي لهذا النوع من التلال (لوحة ١٤).

أوضحت الدراسة المقطعية لتلال المدافن الترابية المقبية، إلى أن خطوات بنائها تتشابه في أغلب خطواتها مع خطوات إنشاء تلال المدافن الترابية المسطحة، والاختلاف بينهما يتمثل في الأرضيات المنشأة عليها التلال، بالإضافة إلى طريقة وضع الدفن المستخدم لتغطية غطاء حجرات مدافن كل منهما، وهي اختلافات فنية معمارية بحثة فرضتها على المعماري مواقع إنشاء تلال المدافن المقبية، والتي من أهمها: إنشاء بعضها فوق سفوح الأودية ومنحدراتها، وفي مجاري فروع الأودية ومسارات جريان مياه الأمطار فيها، ويمكن تلخيص تلك الاختلافات فيما يلي:

١- أنشئت تلال المدافن الترابية المسطحة على أرضية الموقع الطبيعية، بعد أن تم تسويتها بالطريقة المشار إليها في مراحل إنشائها، أما تلال المدافن الترابية المقبية، فإنه بعد أن يتم تحديد رقعة الأرض المخصصة من أرض الموقع لإنشائها، يتم بعد ذلك أعداد تلك الأرضية إما بقشط أو إزالة مكوناتها الطبيعية بالكامل وصولاً إلى الطبقة الجيرية التي تقع أسفلها مباشرة، وفي حالات أخرى يتم إزالة الطبقة الجيرية تماماً وصولاً إلى الأرضية الصخرية التي تقع تحتها مباشرة، حيث أنشئت مجاميع أخرى من تلال هذا الشكل عليها، وتم التعرف كذلك على مجاميع من تلال المدافن الترابية المقبية أنشئت على هضاب طبيعية جيرية منخفضة الارتفاع، بعد أن تم تسوية سطحها من الأعلى وتهيئتها لإنشاء التل عليها.

٢- وضحت وضعية الدفن فوق غطاء حجرات المدافن في مقاطع تلال المدافن الترابية المسطحة على شكل مسطح لتصبح سمة مميزة لمظهرها الخارجي، وربما يكون سبب هذه الوضعية هو العبث والسرقة التي تعرضت لها حجرات المدافن. أما وضعية الدفن فوق غطاء حجرات تلال المدافن الترابية المقبية فقد وضحت في مقاطع تلالها على شكل قمع، فتحته للأعلى ومصبه للأسفل، حيث يشكل وضعه من الأعلى سطح قمة التل الخارجية، ومصبه يمثل انحدار تلك المكونات من الدفن فوق غطاء حجرات المدافن.

ونرى أن تلك الاختلافات بين تلال المدافن الترابية المقبية وتلال المدافن الترابية المسطحة وإن بدت بسيطة، إلا أنها تعبر في مضمونها عن رقي المستوى الفني والتقني الذي وصل إليه المعماري الدلموني الذي قام بتصميمها وإنشائها، فبالنسبة لنقطة الاختلاف الأولى، فربما توصل المعماري إلى قناعة بأن مواقع إنشاء تلال المدافن الترابية المقبية، يستلزم أن تكون الأراضي صلبة، كي يستطيع أن يحافظ عليها من الانهيار، ولا بد أن تكون قناعتها تلك ناتجة عن دراسة ميدانية قام بها للتعرف على طبيعة أرض الموقع، والتي أدت به لمعرفة التأثير الذي سوف تحدثه قوة دفع جريان مياه الأودية إذا أنشئت تلال المدافن الترابية المقبية عليها، وذلك يرجع لكون مكونات الدفن المستخدمة في تغطية عناصرها المعمارية هشّة وغير متماسكة، والتي من السهولة أن تدمرها وتجرفها قوة دفع جريان مياه الأمطار المنحدرة في

الأودية، مما يؤدي إلى كشف معالم مدفن التل، كما أن قدرة المعمارى الدلمونى على تنفيذ تلك التقنية الإنشائية، والتي استلزمت قيامه بجرف وتسوية الأراضي الصخرية، التي أنشئت عليها أغلب تلال هذا الشكل من تلال المدافن تدل على ابتكار آلات ذات مواصفات خاصة ومقدرة على تسوية تلك الأراضي.

ونقطة الاختلاف الثانية مرتبطة بنقطة الاختلاف الأولى وتدعم وجهة نظرنا، بأن تلال المدافن بشكل عام كانت تعد مسبقاً، وتترك مدافنها مفتوحة إلى حين حدوث الوفاة، وعلى أساس هذا الرأي، فإن فترة الانتهاء من إنشاء التل وفترة استخدامه مختلفة، فقد تطول أو تقصر من تل إلى آخر، وقد تكون أيام وقد تكون شهور أو سنوات، ولذلك تكون عرضة في حالة تركها مفتوحة لتجمع مياه الأمطار في حجرات مدافنها، خلال السنوات المطيرة، مما يؤدي إلى تأثير المياه المباشر على جدرانها وتعرضها للانهياء. وبناءً على كل ذلك فإن طبقة الدفن الموضوعة بالصورة والكيفية المشار إليها فوق غطاء حجرات مدافن التلال الترابية المقبية، تشير إلى أن حجرات المدافن في هذا النوع من تلال المدافن كانت تغطى بكاملها وتوضع فوقها مكونات طبقة الدفن المعدة لذلك، وتترك فتحة في جانب التل الغربى لإنزال جثث الميت من خلالها إلى داخل حجرة المدفن، ومن ثم يتم بناء جدار حجرة المدفن الغربى الذي وجد مضافاً في حجرات مدافن هذا الشكل من تلال المدافن.

بنيت المدافن في تلال المدافن الترابية المقبية في وسط أرضية الموقع الصخرية المخصصة لإنشاء التل عليها، ولقد استخدمت حجارة كلسية طبيعية كبيرة الحجم غير مهندمة تتراوح أعدادها ما بين ٣ - ٤ صفوف، وضعت بينها حجارة صغيرة الحجم لتنظيم مستويات صفوف الجدران وضبط ارتفاعها ولتسهيل تثبيت حجارة الغطاء، وأيضاً لتوزيع ثقل حجارة الغطاء على الجدران، وصفت حجارة جدران المدافن بحيث تكون واجهتها المستوية مائلة إلى داخل المدفن بغض النظر عن طبيعة شكلها من الخارج، كما أن جميع جدرانها مترابطة من خلال الصفوف.

ولقد تم فرش بعض المدافن في تلال المدافن الترابية المقبية من الداخل بمسحة بسيطة من التربة الناعمة، لحماية جثة الميت بسبب عدم استواء الأرضية الصخرية، أو ربما تكون تربة مخصوصة مرتبطة بمعتقد ما يتمثل في كونها تربة طاهرة. واستخدمت حجارة كلسية طبيعية كبيرة ومتوسطة الحجم غير مهندمة، لبناء جدران هذا الشكل من المدافن، بحيث استغلَّت الواجهة المستوية لتلك الحجارة لتكون واجهة الجدران المائلة إلى داخل المدافن، ووضعت بين حجارة الصفوف حجارة صغيرة لسد الفجوات بينها الناتجة عن عدم انتظام أحجام الحجارة المستخدمة في بناء الجدران، وأيضاً لكي تصبح جميع جدران المدفن في مستوى واحد. وتتسع حجرات مدافن هذا الشكل من الأسفل وتضيق من الأعلى، وغطيت بحجارة كلسية طبيعية مسطحة تتراوح عددها ما بين ٣ - ٤ قطع. ويلاحظ أن الجدار الشرقى لهذا الشكل من

حجرات المدافن في تلال المدافن الترابية المقبية أنشأ بشكل مقوس، وربما يرجع السبب في أنشأ الجدار الشرقي بشكل مقوس صغر حجم حجارة الأغذية المعدة لتغطية هذا الجزء من امتداد المدافن.

أما الجدار الغربي فقد أنشأ بصورة مضافة منفصلة إنشائيًا عن بقية جدران المدفن، حيث وجدت بصفوف الحجارة المبنى بها لا ترتبط بصفوف جدران المدفن عند زوايا اتصاله بهما مما يشير إلى أنه مضاف، كما أن حجم الحجارة المستخدمة في بنائه مختلفة، وارتفاعه ليس في مستوى ارتفاع بقية جدران المدفن، وواجهته المطلية إلى داخل حجرة المدفن غير مستوية. ويبدو أن فتحة الجدار الغربي قد استخدمت قبل إنشاء الجدار مدخلًا للمدافن، بحيث تُرك مكانها مفتوحًا بشكل مقصود إلى أن يتم وضع جثة المتوفي واستخدام المدفن (لوحة ١٥).

وحجارة الغطاء المستخدمة لهذا الشكل من تلال المدافن الترابية المقبية عبارة عن كتل ضخمة مسطحة من الحجارة الكلسية الطبيعية غير المهندمة بلغ عددها ثلاث قطع. لعب ثقلها دورًا كبيرًا في استخدام حجارة كبيرة في بناء جدران هذا الشكل من المدافن، وضرورة ضبط استقامة تلك الجدران، وسبب ذلك راجع إلى أن حجارة الغطاء تلك لا يقع ثقلها على الجدار الغربي والذي لوحظ أيضًا أنه دون ارتفاعها بقليل.

ولقد اشتملت مواد التقدّمات الجنائزية التي عثر عليها في مدافن التلال الترابية المقبية على أشكال مختلفة من الأواني الفخارية، وكان أكثرها شيوعًا في المدافن حجرة أسطوانية مصنوعة بطينة نقية حمراء اللون، بالإضافة لذلك أواني كبيرة الحجم كروية الشكل تقريبًا، يحيط بسطحها الخارجي أشربة طينية تشبه الحبال الرفيعة تلتف حول الإناء على شكل صفوف بارزة متقاربة ومتوازية^(١٤)، بالإضافة لذلك عثر على أختام دلمونية (لوحة ١٦).

الشكل الخامس: تلال المدافن الكبيرة

تنتشر تلال المدافن الكبيرة في قرية عالي، وبلغ عددها حوالي ٣٠ تلاً، وتتميز بالضخامة والارتفاع الكبير، حيث يتراوح ارتفاعها ما بين ١٢ و ١٥م، وقطر قاعدتها ما بين ٣٥ و ٤٠م، مبنية على الأرضية الطبيعية الجيرية بعد أن تم تسوية وتسطيح تلك الأرضية بتربة بنية رقيقة بلغ سمكها ٣٠ سم (لوحة ١٧).

ويتوسط تلال المدافن الكبيرة في الغلب مدفن مزدوج شيدت جدرانها بكل عناية بقطع من الحجر المستوي، دون استعمال طين أو جص أو أية مادة لربط صفوف حجارة الجدران، حيث اكتفي بجعل الجدران مائلة عن قاعدتها خاصة في القسم العلوي من ارتفاعها. ووجد أن الأحجار المستخدمة في تشييد المدافن كبيرة وسميكة

(١٤) إبراهيم معاوية، المرجع السابق، ١٩٨٢، ص ٦٦ - ٧٥.

يمثل الحجارة المستخدمة للتسقيف كي تشكل أرضية قوية للمدفن العلوي من ناحية، وقوية من ناحية أخرى بحيث تتحمل ثقل الرديم المستخدم لتغطية مدفن التل ككل، وأرضية المدافن ممسوحة بملاط من الجص الناعم، وأحياناً جدران المدافن ممسوحة بملاط من الجص، وهو غالباً ذو لون وردي فاتح، ويختلف سمك الملاط في نفس المدفن متراوحاً بين ١ - ٥ سم. وحوت جدران بعض المدافن ثقوباً في الجدران من الأعلى لوضع الأوتاد التي يرى بأنها استخدمت لتعليق الملابس وغيره من المواد^(١٥) (لوحة ١٨).

وما تم حفره وتنقيبه من مدافن التلال الكبيرة غطى بثلاثة قطع من الحجارة وبعض المدافن الطويلة غطيت بخمسة قطع واستخدم هذا العدد لتغطية المدافن العليا والسفلى، وبلغ متوسط أحجام الألواح الصخرية المستخدمة في التغطية، فقد بلغ طولها ١٥٥ سم وعرضها ٤٥ سم، وسمكها ما بين ٢٣٠ - ٤٠ سم، وهي من الحجر الجيري^(١٦).

ووجدت أسقف المدافن منهارة حيث لم يكن السقف قوياً بحيث يستطيع تحمل ثقل وزن طبقات الدفن المتراكمة والموضوعة فوقه، ولذلك انزلق بشكل تدريجي داخل المدافن، ولهذا السبب وجدت مدافن التلال ممتلئة بأنقاض من الرمال والحجارة، كما وجدت أرضية المدافن أسفلها ممسوحة بملاط من الجص الناعم. وعثر بين الأنقاض المستخرجة على كمية كبيرة من قطع الفحم بعضها كبير الحجم، ويعتقد بأنها تمثل بقايا لجذوع النخيل والحصر المستخدمة لدعم سقف المدفن، وتشير تلك البقايا إلى أن أشجار النخيل كانت منتشرة في زمن بناء تلال المدافن، وأن السكان آنذاك كانوا يستخدمون جذوع أشجار النخيل في أغراض البناء. كما وجدت جدران بعض المدافن ممسوحة بالملاط بعناية، ويتصل بزوايا غرف المدافن غرف جانبية تراوح عددها ما بين الواحدة والأربع، طولها ١٢٠ سم وعرضها ١٠٠ سم وارتفاعها ١٥٠ سم^(١٧). كما لوحظ بأن غرفة الدفن السفلى مبنية بعناية فائقة، وأكثر ارتفاعاً من العليا، ووجدت ثقوب متباعدة عن بعضها البعض بمسافة ٦٠ سم في أعلى جدرانها، ويعتقد بأن تلك الثقوب وضعت بها أوتاد خشبية استخدمت لتعليق الملابس^(١٨).

ولقد استخدمت خلطة تتكون من تربة مختلطة بعض الشيء بالحجارة الصغيرة لتغطية معالم التلال المعمارية، وهي صلبة كالإسمنت وهي تشبه في مكوناتها الخلطة المستخدمة في تلال المدافن الترابية المقبية، وأسفل تلك الطبقة العلوية استخدمت

(15) Mackay E., Harding L., Petrie W. F.: Bahrain and Hamamieh, British School Archaeology in Egypt, (London, 1925), pp. 7 - 13.

(16) Cornwall P. B.: Dilmun: The History of Bahrain Island Before Cyrus, Unpublished. P. H. D. Dissertation, Harvard University, 1944, pp. 105 - 110.

(17) Rice M., Dilmun Discovered, The Early Years of Archaeology in Bahrain, Department of Antiquities and Museums, Bahrain, 1984, pp. 24 - 28.

(18) Bent J. t., " The Bahrain Islands in the Persian Gulf ", Proceeding of the Royal Society, Vol. XII, 1890, pp. 13 - 16.

دراسات في آثار الوطن العربي ١٩

تركيبية أخرى تتكون من حجارة مفككة خالية تمامًا من التراب، تغطي المدفن مباشرة بلغ سمها ٦٠ سم.

ويحيط بمدفن التل جدار دائري مبني بحجارة ضخمة، بلغ طول إحداها مترين تقريبًا وعرضها متر وسمها ٤٠ سم. وتراوح ارتفاع الجدار الدائري عن مستوى سطح الأرض المبني عليها التل ما بين ٢٠٠ - ٣٥٠ سم، وصفوف حجارة الجدار غير متساوية في الحجم وغير ممسوحة بملاط^(١٩)، وتتمثل أهمية الجدار الدائري المحيط بالمدفن في دعم ثقل الأتربة اللازمة لإخفاء معالم المدفن^(٢٠).

ويخترق الجدار الدائري في بعض التلال ممر مرصوف بلغ طوله ٧.٥ م وعرضه ٢ م وارتفاعه ١٠ م، ويمتد من الحافة الخارجية للجدار الدائري وينتهي عند باب المدفن، ويضيق بشكل تدريجي إلى أن يصل عرضه في النهاية الداخلية مترًا ونصف، ويشكل هذا الممر مدخلًا للمدفن، كما تم التعرف على تلال تحوي أكثر من ممر جانبي في الجهة الجنوبية وفي الجهة الشرقية وفي الجهة الشمالية^(٢١).

وجدران الممر مبنية بحجارة مختلفة الحجم، وغير ممسوحة بملاط، ولكنها مائلة بشكل هرمي من الأسفل إلى الأعلى وبارتفاع أعلى من الجدار الدائري. ويوجد رقيين جانبيين منشئين داخل جانبي الممر على اليمين واليسار، الأوطأ منهما مبني بعناية باستخدام خاطة متماسكة من الملاط، وبلغ طول كل رف ١٢٠ سم وعمقه ٢٠ سم وارتفاعهما عن سطح الأرض أو المدخل ٢ م^(٢٢). وكشف الحفر والتنقيب كذلك في تلال المدافن الكبيرة بأن مدافن بعضها يمكن الوصول إليها من خلال مدخل علوي عمودي مربع (Shaft) بلغ ارتفاعه ٣.٥ م^(٢٣).

ويستنتج من خلال هندسة وبناء المدافن، بأن البنائين لم يكونوا ماهرين في تهيئة وتشكيل وقطع حجارة البناء، وأنهم قد قدموا من مناطق لا تستعمل الحجر في البناء، ويبدل على ذلك عدم وجود تشكيل أو قطع منتظم لغالبية الأحجار المستخدمة في تشييد تلال المدافن الكبيرة، كما وجد بأن المدفن السفلي في تلال المدافن الكبيرة، بُنيت على عمق قليل تحت سطح الأرضية الصخرية^(٢٤).

(19) Rice M., op.cit, 1984, pp.20 - 28.

(20) Bent J. T., op.cit, 1890, pp.1 - 19.

(21) Prideaux F. B., " The Sepulchral Tumuli of Bahrain ", Archaeological Survey of India Annual Report, 1908 - 1909, Calcutta, Superintendent Government Printing, India, 1912, p.68.

(22) Rice M., op.cit, 1984, pp.25 - 26.

(٢٣) المدخل العلوي: هو عبارة عن مدخل علوي رأسي، منشأ على سطح غطاء المدفن بحجارة كلسية بدون استعمال أي مادة رابطة، والبعض الآخر منها مشيد بحجارة كلسية مع استعمال مادة الجص، ويمتد من ارتفاع قريب من سطح التل ويؤدي إلى المدفن مباشرة.

(24) Mackay E., op.cit, 1925, pp.7 - 13.

ولقد اشتملت التقدمات الجنائزية التي عثر عليها في مدافن التلال الكبيرة على جرار فخارية مشابهة تمامًا لما عثر عليه في تلال مدافن الشكل الرابع بالإضافة إلى كؤوس حمراء ذات زخارف هندسية (لوحة ١٩)، والتي أمكن تأريخها بالفترة الزمنية الممتدة ما بين 2000 - 1800 ق.م. وعلى ضوء ذلك، نرى بأن الشكل الرابع والخامس من تلال المدافن معاصرين لبعضهما زمنيًا، ويمكن إرجاع الاختلاف في حجم التلال إلى مسألة وجود قيادات أو زعامات، وقد تكون معدة لدفن ملوك وزوجاتهم.

الشكل السادس: تلال المدافن الضخمة والمسطحة

أوضح تنقيب مجموعة من تلال المدافن الضخمة والمسطحة بأن العناصر المعمارية في هذه التلال تم بناؤها بأسلوب هندسي متقن، حيث شكل الجدار الدائري وما يحتويه التل من مدافن، وحدة معمارية مترابطة ومتزامنة إنشائيًا (لوحة ٢٠). فقد احتوى كل تل منها على جدار دائري مبني بكتل من الحجارة الكلسية الكبيرة والمنتظمة الشكل، والتي شذبت واجهاتها بعناية لتصبح ذات شكل مستطيل، تراوح ارتفاع الواحدة منها ما بين ٣٥ سم و ٩٥ سم وسمكها ٣٥ سم. وتم تثبيتها بإتقان على الأرضية الصخرية التي أنشأ التل عليها، واستخدمت مونة من الجص النقي وحجارة صغيرة لتثبيتها وسد الفراغات بينها وربطها، وعملت حافة خارجية في أسفل الجدران تبرز للخارج من قاعدة الجدران ارتفاعها ٢٠ سم وعرضها ٢٠ سم. والساحة الداخلية التي يحيطها الجدار الدائري تم تقسيمها إلى مجموعة مدافن اصطفت بشكل متناظر، بنيت جدرانها بحجارة كلسية ومسحت بمادة الجص من الداخل. وبين التنقيب وجود ثلاثة أشكال معمارية مختلفة من ناحية تقسيم المدافن من الداخل، وهي على النحو التالي (لوحة ٢١):

الشكل الأول: جدار دائري منتظم مقسم من الداخل إلى أربعة مدافن مصممة بطريقة تشبه في توزيعها الحرف اللاتيني (H)، وللجدار بوابتان متقابلتان تؤديان إلى غرف الدفن، حيث يمكن الدخول والخروج إلى داخل المدافن من خلالهما.

الشكل الثاني: يشبه الشكل الأول من حيث التصميم والتخطيط، ويختلف عنه بعدم وجود بوابة تؤدي إلى داخل غرف الدفن.

الشكل الثالث: جدار دائري منتظم يتوسطه مدفن، بني على شكل جدارين مزدوجين بحجارة كلسية مختلفة الحجم، استخدمت مادة الجص للربط بين صفوف الجدران.

وأوضح التنقيب بأن تلال المدافن الضخمة والمسطحة التي تم حفرها تعرضت إلى عمليات سرقة وتخريب متكررة، حيث وجدت جميع المدافن بدون غطاء، كما أزيلت بعض حجارة جدرانها، وأدت عمليات السرقة التخريب إلى عدم التمكن من معرفة وضعيات الدفن المتبعة في هذه الشكل من تلال المدافن (لوحة ٢٢). وما عثر

عليه في المدافن عبارة عن بقايا عظام هيكل بشرية وجدت مكومة في إحدى زوايا المدافن، وعثر بين ركام العظام على بقايا لمواد التقدّمات الجنائزية، منها سيف ورؤوس سهام مصنوعة من البرونز وأنية فخارية ذات مصب طويل، بالإضافة إلى أوان فخارية أخرى مختلفة الأحجام والألوان (لوحة ٢٣). وأنية صغيرة مصنوعة من الحجر الصابوني (الإستياتيت) لها مصب صغير، كما اكتشف خرز مصنوع من أحجار مختلفة وذات أشكال وأحجام مختلفة. وأوضحت الدراسة الأولية لمواد التقدّمات، بأنّ تلال المدافن الضخمة والمسطحة تعود إلى فترة الألف الأول قبل الميلاد^(٢٥).

الشكل السابع: تلال مدافن الحجر^(٢٦)

هذا الشكل من تلال المدافن أكتشف في قرية الحجر، إحدى قرى مملكة البحرين، ولقد تم تنقيب تلين من تلال الموقع (تل مدافن الحجر ١ وتل مدافن الحجر ٢)، ولقد أوضح تنقيب التلين عن اكتشاف مدافن أسفل التلال محفورة في أرضية الموقع الصخرية، وتعود لفترات زمنية مختلفة، وتختلف مدافن هذا الموقع اختلافاً كلياً من ناحية التخطيط والتصميم والإنشاء عن مدافن تلال المدافن.

نتائج تنقيب تل مدافن الحجر ١:

كشفت تنقيب جزء من تل مدافن الحجر ١، بأنه يحتوي على عدد كبير من المدافن، بعضها تم التعرف عليه بين طبقات الدفن والبعض الآخر أسفل أرضية التل محفورة في الأرض الصخرية، وبلغ عدد المدافن التي تم التعرف عليها وحفرها ٥٠ مدفناً، وما زال جزء كبير من التل لم ينقب بعد، ولا يستبعد احتواؤه على أعداد أخرى من المدافن يعود أغلبها إلى عصور مختلفة، تلت دور تأسيسها في فترة دلمون المبكرة (٢٣٠٠ - ٢٠٠٠ ق.م)، ومن بينها مدافن تعود إلى العصر الكاشي (١٦٠٠ - ١٢٠٠ ق.م)، واحتوى التل أيضاً على مدافن تعود للعصر الأشوري - البابلي الحديث (الألف الأول قبل الميلاد)، وأيضاً مدافن تعود للعصر اليوناني

^(٢٥) تم الاعتماد على تقارير الحفريات غير المنشورة التي أعدها مشرفو المواقع، ومحفوفة حالياً في أرشيف إدارة الآثار والمتاحف بمملكة البحرين: مصطفى إبراهيم وعبدالكريم جاسم حسن، تقرير عن تلال الألف الأول قبل الميلاد.

^(٢٦) "الحجر كانت مقبرة جماعية"، مجلة هنا البحرين، العدد ٢٢٣، السنة الرابعة عشر، جمادى الثانية ١٣٩٠ هـ، أغسطس ١٩٧٠؛ وأيضاً، التكريتي عبدالقادر، مدافن ومقابر البحرين، دراسة غير منشورة؛ وأيضاً، التكريتي عبدالقادر، تقرير دولة البحرين عن أعمال البحوث والحفائر الأثرية في السنوات من ٧١ - ١٩٧٣؛ وأيضاً، آل خليفة هيا علي، تقرير عن الجهود التي قامت بها إدارة الآثار والمتاحف في دولة البحرين في الفترة ما بين سنة ٧٥ - ١٩٧٦، وجميع تلك التقارير محفوظة حالياً في أرشيف إدارة الآثار والمتاحف بمملكة البحرين.

الهالنستي (٣٠٠ ق.م)، وتوضح تلك المدافن والفترات الزمنية التي تعود إليها بأن مدافن هذا التل تغطي فترة زمنية تمتد، على وجه التقريب من ٢٣٠٠ ق.م. إلى ٢٠٠ ق.م. وأوضح التنقيب بأن مدافن هذا الموقع لا تتخذ اتجاهًا معينًا، بل ظهرت في اتجاهات مختلفة، بعكس تلال المدافن التي تتجه مدافنها من الشرق إلى الغرب.

ولقد حفرت مدافن هذا الشكل في الأرض الصخرية، على عمق تراوح ما بين ١ و٢م، وطول بعضها 5,10م، وحول الحافة الخارجية من حفر المدافن عمل إطار من الحجارة الصغيرة المربوطة بملاط من الجص لكي تكون مرتكزًا توضع عليه حجارة الأغطية، وقد كسيت أغلب المدافن واجهتها من الداخل بملاط يتكون من الرمل والجص والرماد أشبه بالإسمنت في لونه ولصلايته، وغطيت المدافن بأغطية مكونة من حجرين كبيرين، وملاً الفراغ المتبقي بينها بالحجارة والملاط، ولبعض المدافن مداخل تسد بقطع حجرية، وتتصل بها عتبات أو سلم من ثلاث درجات يؤدي إلى داخلها (لوحة ٢٤).

وتشير المداخل والأبواب الحجرية ودرجات السلم المتصلة بها إلى أن هذه المدافن أعدت لكي تكون مدافن جماعية أو عائلية، وبمعنى آخر لكي تستخدم لدفن لأكثر من مرة واحدة، بحيث يتم فتحها عند الحاجة لاستعمالها ثانية. ولم تسلم تلك المجموعة من المدافن من التخريب والعبث إما بقصد السرقة أو من جراء استعمالها من قبل أدوار تالية، حيث كشف التنقيب عدد كبيرة من المدافن أزيلت أغطيتها.

وأوضحت دراسة المدافن، بأن بعضها يعود إلى أواخر العهد البابلي القديم (١٩٥٠ ق.م) والبعض الآخر يعود إلى العصر الكاشي (١٦٠٠ - ١٢٠٠ ق.م)، وأغلب المدافن التي تعود إلى العصر الكاشي جماعية، عثر في بعضها على هياكل بشرية تصل إلى أكثر من أربعين هيكلًا في وضعية غير منتظمة ومختلطة بمواد التقدّمات الجنائزية، ومن أهمها المصنوعات الفخارية التي من بينها أنواع من الكؤوس النثرية، التي كانت تستخدم في معابد بلاد الرافدين عند تقديم القرابين للالهة (لوحة ٢٥)، وأون مصنوعة من الحجر (لوحة ٢٦)، ومصنوعات من العظم والصدف والعاج والبرونز وأختام أسطوانية مصنوعة من الحجر الطباشيري (لوحة ٢٧). وهذه المكتشفات تلقي ضوءًا جديدًا على تاريخ مملكة البحرين، وهو أن الكاشيين استوطنوا مملكة البحرين لفترة تاريخية طويلة، واتخذوها مركزًا لنشاطهم التجاري.

نتائج تنقيب تل الحجر ٢:

تقع مدافن تل الحجر ٢ شمال تل مدافن الحجر ١، وتبعد عنه بمسافة ٤٠٠ م، وتتميز بعض مدافن تل الحجر ٢، بأنها مدافن بدائية مستطيلة الشكل بسيطة حفرت في أرضية الموقع الصخرية بطريقة تخلو من العناية بعمق 75سم وعرضها حوالي

دراسات في آثار الوطن العربي ١٩

40 سم، وغالبيتها صغيرة الحجم نسبيًا وغير ممسوحة بالجص من الداخل، ولقد أنشئت لغرض استخدامها في عملية دفن واحدة (لوحة ٢٨).

ولقد احتوى معظمها على تقدمات جنازية تعود إلى فترة دلمون المبكرة (٢٣٠٠ - ١٨٠٠ ق.م)، من بينها الجرار ذات الشكل الأسطواني وأختام دلمونية. ووجدت بعض المدافن خالية من محتوياتها العائدة إلى فترة دلمون، إذ تم إعادة استعمالها في العصر الكاشي (١٦٠٠ - ١٢٠٠ ق.م) والعصور التي تلتها.

ووجدت بين مدافن فترة دلمون مدافن كبيرة الحجم نسبيًا، وبعضها مشيد فوق مدافن تعود لفترة دلمون، إذ تمت توسعتها وتهيئتها لتكون مدفنًا واحدًا كبيرًا. وأغلبها محفورة في أرضية الموقع الصخرية باتقان، على شكل سراديب، تختلف فيما بينها من ناحية الطول والعرض والعمق، وبعضها ممسوح بالجص، وبعض المدافن مصمم ليكون مدافن جماعية، وتتصل بهذه المدافن مداخل تتحدر إلى داخل حفرة المدفن بواسطة عتبات. وتشير المداخل والعتبات المتصلة بها إلى أن تلك المدافن أنشأت لكي تستخدم لدفن أكثر من شخص وفي فترات مختلفة من عمر استخدام المدفن. ولقد كشف تنقيبها عناقوتها على عظام هياكل بشرية كثيرة، وفي أوضاع تشير إلى أنها ليست في وضعها الصحيح عندما تم دفن صاحبها، فلقد وجدت مكدسة فوق بعضها البعض، ومن بينها عظام لهياكل حيوانية مختلفة، تم تمييز بعضها، وتعود لماعز وكلاب وحصان. وعثر بين ركام تلك العظام، على أشكال مختلفة من الأواني الفخارية والحجرية والأختام الدلمونية، إضافة إلى أسلحة برونزية وحلي مصنوعة من أحجار مختلفة وبيض نعام وسلال من الخوص المجدول والمغطى بالقار.

وكشف التنقيب في مدافن تل الحجر ٢ عن عدد من المدافن والتي وجدت خالية تمامًا من العظام البشرية والتقدمات الجنائزية، إلا أنها مليئة بالرمل الناعم، على الرغم من كونها مغطاة بالحجارة. ويعتقد بأن تلك المدافن كانت تعد سلفًا بكامل أغطيتها، ويترك جزء منها مفتوحًا عند المدخل لإدخال الميت منه. ويرجع السبب في ذلك لصعوبة حفر مدفن في أرض صخرية مباشرة بعد حدوث الوفاة إذ الأمر يحتاج إلى وقت طويل، مما يؤدي إلى تعفن الجثة بتعرضها للهواء مدة طويلة. ووجود الرمل بداخلها، يمكن أن يكون قد تسرب من خلال أغطية المدافن خلال الفترات الزمنية الطويلة من عمرها، ومن الممكن أن يكون قد ملئ عند إنشائها.

ومن بين مدافن تل الحجر ٢ التي تم التعرف عليها وتنقيبها، مدفن كبير الحجم يشكل وحدة بنائية فريدة تحتوي على مرافق عديدة تتصل ببعض البعض بواسطة مداخل وممرات، فلقد اشتمل المدفن على غرفة مربعة الشكل تقريبًا، تتصل بممر طويل من جهة الغرب منتهيًا بمدخل واسع، ويتصل بهذا المدفن مدخل آخر في الجهة الشمالية. وعثر بهذا المدفن على مجموعة من الهياكل والجماجم البشرية قدرت

بحوالي ثلاثين هيكلًا، وأغلب الهياكل تعود لنساء؛ ومعظم مواد التقدّمات الجنائزية التي عثر عليها أدوات لزيّنة النساء، من بينها الأقراط والحجول النحاسية وقلائد من أحجار كريمة مختلفة، وختم أسطواني، وقد أرخ المدفن على ضوء هذه المعثورات بفترة من العصر الأشوري الحديث، حوالي ٨٠٠ ق.م.

وأوضحت الدراسة الأولية لمكتشفات مدافن تل الحجر ٢، بأنها تعود إلى مختلف الفترات الزمنية التي عاشتها حضارة دلمون، كما أنها تؤكد أن تلك المدافن أعيد استعمالها لعدة فترات من زمن هذه الحضارة، وتشير إلى وجود كيانات أسرية أو قبلية أو عائلية أو ما يسمى "بالأسر الممتدة" التي استمرت لفترات طويلة، تستخدم تلك المدافن بصورة جماعية، بحيث تتوارث استخدامها جيلاً بعد جيل.

وعلى ضوء دراسة مواد التقدّمات الجنائزية التي عثر عليها في مدافن تل الحجر ٢، اتضح بأنها تعود لفترات زمنية مختلفة، فأقدمها يرجع إلى فترة دلمون المبكرة والمؤرخة بالفترة ما بين ٢٣٠٠ - ١٨٠٠ ق.م، أما المدافن المعاد استعمالها أو التي تمت توسعتها وعملت لها مداخل، فقد تم تأريخها من خلال مكتشفاتها من الأواني الفخارية المشابهة للفترة الكاشية في بلاد الرافدين بالفترة ما بين ١٦٠٠ - ١٢٠٠ ق.م. كما تم التعرف على مدافن تعاصر العصر الأشوري - البابلي الحديث، وذلك خلال فترة ٨٠٠ ق.م، وذلك اعتماداً على ما عثر فيها من أختام وجرار وأوانٍ فخارية (لوحة ٣١). كما تم التعرف على مدافن تعود حسب معثوراتها إلى العصر اليوناني الهلنستي (فترة تايلوس)، وحددت الفترة الزمنية التي تعود إليها بحوالي ٣٠٠ ق.م. وعلى ضوء الفترات التي تعود إليها مدافن تل الحجر ٢.

الشكل الثامن: المدافن المترابطة

كشف تنقيب المدافن المترابطة^(٢٧) بأنها أنشئت تدريجياً على سطح صخرة عالية تقع في الحافة الشرقية الجنوبية لحدود موقع سار الأثري (لوحة ٢٩)، وتطل على السهل، وأوضح سطح الأرض الصخرية التيتم كشفها وأنشئت عليها المدافن تأثير تغير المناخ عليه، خصوصاً الرياح التي تهب من الشمال الغربي، حيث لوحظ أثر خطوط التعرية على أسطح أغطية المدافن التي اقتطعت من أرضية الموقع واستعملت في إنشائها. وفي بعض الأماكن، لوحظ تشقق غير منتظم وطبعات لطحالب، واستنتج من ذلك بأن الصخر بالقرب من موقع سار تشكل تحت سطح ماء ضحل، كما لوحظ وجود معالم عدد كبير من أماكن قلع الحجارة منتشرة بطول موقع انتشار حفل المدافن، واستنتج من ذلك؛ بأن أحجار البناء المستخدمة في إنشاء المدافن

(27) Mughal M. R., The Dilmun Burial Complex at Sar: The 1980 -1982, Excavations in Bahrain, Government Press, Ministry of Information, 1983, pp.9 -12.

المترابطة، لم تجلب من مناطق أخرى كما كان يعتقد، فالبنائين الذين بنوا تلك المدافن استغلوا الحجر المتاح قرب الموقع.

وأظهر التنقيب بوضوح أن مجمع المدافن المترابطة بني على مرحلتين مختلفتين، حيث وجد فريق التنقيب بأن مجموعة المدافن الشرقية مختلفة في المحتوى وأسلوب التسقيف عن المدافن المرتبطة بها والكائنة وسط المجمع، ولكن المدافن الواقعة في الأجزاء الغربية والجنوبية الغربية من المجمع، لم تظهر أي اختلاف واضح بينها، حيث بدت المدافن بالكامل منتظمة في المحتوى والتكوين، من الأساس إلى حجارة أغطيتها وما فوقها.

ولقد أنشئت المدافن المترابطة بصفوف من الحجارة الكلسية، وأحيطت بجدران منحنية شبه دائرية ومتصلة ببعضها البعض، تمثل جداراً دائرياً، وتشبه في مظهرها العام خلية النحل، وأوضح التنقيب، بأن مجمع المدافن المترابطة، انطلق من مدفن رئيسي في وسط الموقع محاط بجدار دائري، وهذا الأسلوب المعماري، قصد منه إيجاد حدود لعزل مجموعة اجتماعية، أو ربما تعود تلك المدافن لجماعة من الناس ذات هوية خاصة بها، ومعترف بها في الاتجاه السائد للمجتمع الدلموني الديني. كما أن مجمع المدافن المترابطة بمدافنه المبنية بعناية، لا يبدو مرتبطاً بمحاولة الاقتصاد في المكان أو العمل. وربما يكون مجمع المدافن المترابطة، قد خصص أساساً لجماعة معينة من السكان، تربطهم علاقات اقتصادية واجتماعية ويشتركون في معتقدات وشعائر دينية واحدة.

ونرى بأن الانتظام الكلي في تصميم مجمع المدافن المترابطة، يبين أن المدافن بُنيت طبقاً لتصور مسبق لخطة البناء، ويفترض أن يكون الحرفيون الذين تم استخدامهم لبنائها متخصصين، ويعتقد بأن المدافن بنيت مسبقاً، لتتلقى الموتى فيما بعد. ويوحى تناسق بناء قبورها ونمطها المعماري بأنه قد تم التخطيط لها مسبقاً من قبل مجموعة متخصصة في بناء المدافن، تولت عملية التخطيط والإشراف وتنفيذ البناء. ولذلك نعتقد وجود سلطة إدارية كانت تشرف على تنفيذ المشروع وكانت المجموعة خاضعة لتوجيهاتها، وبناءً على ذلك، نرى بأن حقل تلال المدافن المترابطة يعود لسكان المدينة الدلمونية والتي تشكل امتداداً لها في الجهة الجنوبية والجنوبية الغربية، كما لا نستبعد أن تكون عملية الإنشاء كانت تدار من خلال سلطة معبد المدينة التي يخضع لها الجميع.

ولقد كشف التنقيب بأن عملية إنشاء المدافن المترابطة تمت على مرحلتين، ففي المرحلة الأولى كان يبني الجزء السفلي من المدفن والجدار الدائري المحيط به، ويتم بعد ذلك ملء الفراغ بينهما بتراب مخلوط بحجارة. وفي المرحلة الثانية، بعد وضع الميت داخل المدفن، يتم بناء الجزء الأعلى منهما، ويغطي المدفن بألواح كبيرة من الحجر. ووجد بأن خطة الدفن الموضوعة فوق المدفن، استخدمت لإحكام إغلاق

أغطيها، وتتشابه مع الدفن الموضوع فوق أغطية مدافن التلال. كما أوضح التنقيب بأن السطح الأصلي العلوي لمجمع المدافن المترابطة، قد تعرض للتخريب، وتأثر بالتغيرات المناخية التي حدثت عبر السنين منذ فترة بنائه وحتى الوقت الحاضر.

كما أوضح التنقيب أيضاً، أن المدافن والجدران الدائرية أو القوسية المحيطة بها متزامنة البناء، ولقد بنيت بحجارة غير منتظمة أو شبه منتظمة فوق سطح أرضية الموقع الصخرية الطبيعية، بدون عمل أي أساس لها، وبدون استخدام أي مادة رابطة. ولزيادة قوة وثبات الهيكل البنائي العام لمجمع المدافن المترابطة، أظهر التنقيب استعمال أحجار كبيرة لتأسيس الجدران، بالإضافة إلى وضع حشو من مكونات الدفن في الفراغ بين المدافن والجدران الدائرية أو القوسية المحيطة بها، والذي أعطى قوة إضافية إلى كامل الهيكل البنائي وربط بعضه بعضاً، وبسبب غياب المادة الرابطة بين صفوف حجارة الجدران تسلس الرمل والتراب الناعم إلى المدافن وملئها، مما ساعد على تماسكها وعدم انهيارها.

ولقد أوضح تنقيب مجمع المدافن المترابطة، بأن الجدران الطولية للمدافن غالباً ما امتدت حتى الجانب الداخلي للجدار الدائري المحيط بها لتشكل تلك الواجهة من الجدار، جداراً عرضياً للمدفن وتحديداً الجدار الشرقي، وفي هذه الحالة لا يلتصق الجدار العرضي الغربي للمدفن بالجدار الدائري المقابل والمحيط بالمدفن. وفي أغلب الحالات وُجِدَت الجدران العرضية الغربية مخربة بالكامل أو ساقطة تماماً داخل المدافن، ونعتقد بأن الجدار الغربي للمدافن كان يترك منذ المرحلة الأولى من بناء المدفن ليبنى فيما بعد، والسبب في ذلك هو لضبط طول المدفن وفقاً لطول الشخص الذي سيدفن فيه، فلقد أوضحت مقاسات أبعاد المدافن وجود اختلاف كبير في أحجامها تراوح ما بين ١١٠ سم و ٢١٥ سم، وهذا الاختلاف يظهر أن المدافن بنيت لاستقبال أطوال مختلفة من الموتى^(٢٨).

واعتماداً على التشابه بين مواد التقدّمات الجنائزية ومكتشفات بيوت المدينة وخصوصاً الأواني الفخارية الدلمونية والأختام الدلمونية والتي تشبه مثيلاتها والتي عثر عليها في تلال المدافن المقبية وتلال المدافن الكبيرة، أمكن تحديد الفترة الزمنية التي تعود لها وهي ما بين سنة ٢١٠٠ - ١٧٥٠ ق.م.

(28) Mughal M. R., 1983, op. cit, p.p. 9 - 61.

اللوحات

مصدر جميع لوحات البحث أرشيف الصور بمتحف البحرين الوطني



(لوحة ٢)



(لوحة ١)



(لوحة ٤)



(لوحة ٣)

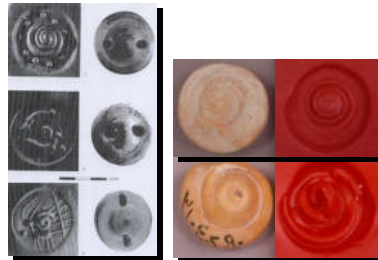


(لوحة ٦)

(لوحة ٥)



(لوحة ٨)



(لوحة ٧)



(لوحة ١٠)



(لوحة ٩)



(لوحة ١٢)



(لوحة ١١)



(لوحة ١٤)



(لوحة ١٣)

دراسات في آثار الوطن العربي ١٩



(لوحة ١٦)

(لوحة ١٥)



(لوحة ١٨)

(لوحة ١٧)



(لوحة ٢٠)

(لوحة ١٩)



(لوحة ٢٢)

(لوحة ٢١)



(لوحة ٢٤)



(لوحة ٢٣)



(لوحة ٢٦)



(لوحة ٢٥)



(لوحة ٢٨)



(لوحة ٢٧)



(لوحة ٢٩)

The Dilmunic Cemetery of the Kingdom of Bahrain

Dr. AbdulAziz Suwaileh*

Abstract:

Pang has launched the Daphne beginnings of Bahrain Kingdom raised attention, since 1879, this concern is still continuing till present, formed through their forms and their collections and sizes an incentive to see a beta tester, and wide spread them vulnerable destroyed by conflict spilling over with Urbanization, which covered various parts of the Kingdom. I addlmonet number of burial mounds scattered on the island of Bahrain alone approximately 85,000 followed. He explained what was mine and studying them that despite the similarity of their forms from the outside, there are differences in the manner in which it was established and although its inception coincided, this indication of multiple religious beliefs among the people of the Kingdom of Bahrain from aldlmoneyen and reflected on ways to create cemeteries and burial rites. Will this paper reviewed several aspects concerning burial mounds and their importance in clarifying about several aspects of the civilization of Delmon.

Key words:

burial mounds – civilization of Delmon – religious beliefs – Bahrain island.

* Official studies and Research Association history and effects of Bahrain
azizsuwaileh@gmail.com